أنوار الهلالين
في التعقبات على الجلالين

د . محمد بن عبد الرحمن الخميس

مصدر هذه المادة :



دار الصميعي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ

---

1 (?) سورة آل عمران آية (102).

2 (?) سورة النساء آية (1).

اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا[3].

أما بعد:

فـإن أصـدق الحـديث كتـاب الله وخـير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محـدثاتها، وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضـــلالة، وكل ضلالة في النار، ثم أما بعد..

فـــإن تفســـير الجلالين لجلال الـــدين المحلى وجلال الـــــدين الســــيوطي من التفاسـير المختصـرة السـهلة الشـائعة بين الناس، وكثير قراؤه، وهو تفسير جيد نــافع، غـــير أن فيه بعض زلات رأيت من واجـــبي التنبيه عليهـا، وتحـذير النـاس منها ليكونـوا على بينة من أمر دينهم، حـتى لا يقعـوا في مزالق تؤثر على سلامة عقيدتهم.

والمفسران لهما جلالتهما وقـدرهما، وأنا أقل من أن أحكم على هـــذين الإمـــامين الجليلين بشيء ولكن هي أمــور وجب عليَّ شرعا التنبيه عليها والتحذير منها، ولا أحاكم شخصـهما، إنما أنـاقش أمـورا قرراها في كتابهما.

---

3 (?) سورة الأحزاب آية (70، 71).

ولا أدعي أنــني أوفيت الأمر والموضــوع حقه، ولكن هذه أمثلة لهنــات وزلات وقعت في الكتاب ﴿**وَلَوْ كَـانَ مِنْ عِنْـدِ غَيْـرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾.

والله من وراء القصد وهو حســـبنا ونعم الوكيل وصـلى الله وسـلم وبـارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول
التأويلات في بعض آيات الصفات

جـــاء في تفســـير الجلالين تأويل بعض آيــات الصــفات على خلاف الظــاهر وعلى خلاف منهج الســلف في ذلكم، ومن الأمثلة على ذلك:

* **المثال الأول:** صفحة (2) من سورة الفاتحة آية رقم (3) قوله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**﴾.

قـــال المؤلـــف: «أي ذي الرحمة وهي إرادة الخير لأهله».

* قلت: "الــرحمن" و"الــرحيم" اســمان دالان على صــفة الرحمــة؛ فالله تعــالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة الـتي وسـعت كل شـــيء وعَمَّتْ كُــلَّ حَيٍّ، والمؤلف - رحمه الله - اقتصر على لازم الرحمـــة، ولم يثبت صـــــفة الرحمة والقواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها من الإيمان بأسـماء الله وصــفاته وأحكــام الصــفات وإمــرار آيــات الصـــــــفات على ظاهرها دون تأويلها بما يخرجها عن حقيقة معناها؛ فــإن التأويل بما

ينفي حقيقة معـنى الصـفة هو تعطيل لهـا، بل ونوع من الإلحاد فيها.

* **المثـــال الثـــاني:** الآية (158) من ســـورة الأنعـــام في قوله تعـــالى: ﴿**هَـــلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ**﴾.

قال المؤلف: «أو يأتي ربــك: أي علاماته الدالة على الساعة».

* قلت: هــذا صــرفٌ للَّفظ عن ظــاهره وتعطيلٌ لصـفة الإتيـان؛ قـال ابن جرير في تفسـير هـذه الآيـة: «يقـول جل ثنـاؤه: هل ينتظر هـــؤلاء العـــادلون بـــربهم الأوثـــان والأصـــنام إلا أن تـــأتيهم الملائكة بـــالموت فتقبض أرواحهم أو أن يــأتيهم ربك يا محمد بين خلقه في موقف القيامة»[1].

* **المثــال الثــالث:** الآية (32، 76، 134، 146) من سورة آل عمـران والآية (94) من ســورة المائــدة والآية (109) من ســورة التوبة عطل صــفة المحبة وصــرفها عن ظاهرها إلى الثـــواب فقـــال: «يحببكم

---

[1] (?) تفسير ابن جرير (5/404).

الله: بمعنى يثبكم». والصواب أن يقال: إن الله يحبكم وإذا أحبكم يثبكم لأن المثوبة من آثار المحبة لا عين المحبة.

* **المثال الرابع:** الآية (32، 58، 140) من سـورة آل عمـران عطل صـفة الغضب وصرفها عن ظاهرها إلى العقاب فقـال في قوله تعالى: «﴿**لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾: بمعـنى أنه يعاقبهم». والصواب: أن من نتائج عــدم محبة الله لهم أنه يعاقبهم.

* **المثــال الخــامس:** الآية (54) من سـورة الأعـراف قوله تعـالى: ﴿**مُسَـخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ**﴾.

قال المؤلف: «بقدرته».

* قلت: هــذا صــرف للفظ عن ظــاهره وتعطيل لصــفة الأمــر؛ قــال ابن جرير في تفسير هذه الآية: «يقـول تعـالى ذكـره: إن ربكم الله الـــذي خلق الســـموات والأرض والشـمس والقمر والنجـوم كل ذلك بـأمره أمـــرهن فـــأطعن أمـــره، فلله الخلق كله والأمر الذي لا يخالف ولا يـرد أمـره دون ما ســـواه من الأشـــياء كلها ودون ما عبـــده

المشركون من الآلهة والأوثان الــتي لا تضر ولا تنفع ولا تأمر»[1]. فالصواب أن يقال: إن المـراد من الأمر كلام الله وحكمه وهو غـير القدرة.

* **المثال السادس:** صفحة (186) من سورة الأعراف الآية رقم (54) وطه الآية (5) ص(374) والســجدة الآية رقم (4)ـ (501) في قوله تعــالى: **﴿اسْــتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾**.

قال المؤلف: «استواء يليق به».

* قلت: إن كان المؤلف يريد به تفــويض كيفية الاســتواء فهـذا حق لأن الكيفية على الوجه اللائق به ســـبحانه ولا يعلم ذلك إلا الله كما قــال الإمــام مالــك: «... والكيف مجهول».

وأما إن كـــان يريد بـــذلك أن معـــنى الاستواء نفسه مجهول فهذا فرار من إثبات صــفة العلو والاســتواء على العــرش لأن الســلف ذكــروا أن الاســتواء معنــاه العلو والارتفاع والاستقرار [2].

---

1 (?) تفسير ابن جرير (5/514).

2 (?) انظر صحيح البخاري (4/387).

وعبـــارة المؤلف تحتمل كلا المعنـــيين، ولكن السلف لم يجهلوا معنى الاستواء كما قـــال الإمـــام مالك وغــيره: «الاســـتواء معلوم».

* **المثال السابع:** ص138 من ســورة المائــدة الآية رقم (64) في قوله تعــالى: ﴿**بَـلْ يَـدَاهُ مَبْسُـوطَتَانِ**﴾. قـال المؤلـف: «مبالغة في الوصف بـــــــالجود وثَنَّى اليد لإفادة الكـثرة إذ غاية ما يبذله السـخي من ماله أن يعطي بيديه».

* قلت: لا شك أن الله ســـــبحانه بسط فضـله وجـوده وإحسـانه الـديني والـدنيوي على عباده؛ لكن المصنف أغفل إثبات صفة اليـدين بل صـرفها عن حقيقتهـا، وقد أجمع أهل السـنة على القـول بما تظـافرت على إثباته النصـوص من الكتـاب والسـنة من أن لله يــــــــدين حقيقية على الكيفية اللائقة بجلالـــه، والتثنية هنا إثبـــات لأنهما يـــدان وليست يـدا واحـدة وفي الحـديث: «**وكلتا يــدي ربنا يمين**»[1]؛ فيجب المصــير إلى

---

[1] (?) رواه مسلم 3/1458 عن عبد الله بن عمرو.

هذا القول وتفسير الآية على هذا المعنى؛ نعم الجود من لوازم إثبات صفة اليد لكن لا يجوز تفسير الآية باللازم وترك الملزوم؛ فيجب إثبات صفة اليدين ولوازمها ومن القواعد المقررة عند أهل السنة الإيمان بأسماء الله وصفاته وأحكام الصفات.

* **المثال الثامن:** صفحة (248) من سورة يونس الآية رقم (21) في قوله تعالى: ﴿**قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا**﴾.

قال المؤلف: «مجازاة».

* قلت: حقيقة المكر تدبير محكم في إنزال العقوبة بالمجرم من حيث لا يشعر فهو أخص مِن مطلق الجزاء؛ لأنه عقوبة على وجه مخصوص؛ فالمكر من الله تعالى تدبير لرد كيد الكائد في نحره، وإنزال العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بجنس عمله ونيته، هذا وما يجب أن يعلم أنه لا يطلق على الله تعالى اسم ماكر استنباطا من الآية، حاشا لله، بل يقال إن الله تعالى هو خير الماكرين، والله يمكر بالكافرين والمنافقين، فيقف القائل عند

حـدود ما ورد في النصـوص مقيـدا، حـتى لا يكـون موهما بنسـبة شـيء إلى الله تعـالى مما لم يرده.

* * *

*** المثال التاسـع:** صـفحة (297) من سورة الرعد الآية رقم (9) في قوله تعالى: ﴿**الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**﴾.

قـــال المصـــنف: «المتعـــال على خلقه بالقهر».

* قلت: هــذا أحد معــاني العلو الثابتة له ســبحانه؛ فهو المتعــالي على كل شـــيء بقهـــره، والمتعـــالي عن كل ســـوء ونقص بكماله والمتعـالي بذاته فـوق خلقـه؛ فالله تعـالى هو المتعـال بـأنواع ثلاثـة؛ فلا يجـوز قصر «المتعال» على نوع واحد.

* * *

*** المثال العاشـر:** صـفحة (479) من ســـــورة القصص الآية رقم (88) في قوله تعالى: ﴿**إِلَّا وَجْهَهُ**﴾.

قال المؤلف: «إلا إياه».

* قلت: غفر الله للمؤلف فقد حـــــرف

معنى صـفة الوجه إلى معـنى الـذات وهـذا تعطيل واضـــح؛ فالوجه من صـــفات الله الحقيقية الـتي تليق به سـبحانه ولا شك أن الوجه يسـتلزم الـذات فقوله تعـالى: ﴿**كُـلُّ شَيْءٍ هَالِـكٌ إِلَّا وَجْهَـهُ**﴾ معنـاه كل شـيء فـانٍ إلا الله تعـالى؛ أي يبقي وجهه تبـارك وتعالى ولا يهلك؛ فيلزم من بقاء وجهه بقـاء ذاته فلا يجـوز إرادة اللازم ونفي الملـزوم؛ بل يجب إثبات الملزوم مع إثبات اللازم.

* **المثـال الحـادي عشـر:** صـفحة (257) من سورة فـاطر الآية رقم (10) في قوله تعـالى: ﴿**إِلَيْـهِ يَصْـعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ**﴾.

قال المؤلف: «إليه يصعد الكلم الطيب» قـــال: «يعلمه؛ وهو لا إله إلا الله والعمل الصالح يرفعه يقبله».

* **قلت:** غفر الله للمؤلف؛ فليس معنى "إليه يصـــعد الكلم الطيب" العلمَ؛ فهـــذا صـرف للنص عن ظـاهر معنـاه إلى معـنى غـير ظـاهر وتعطيل لصـفة علو اللـه؛ بل معناه: أن الكلم الطيب من قـراءة وتسـبيح

وتحميد وتهليل وكل كلام حسن طيب يرفع إلى الله ويعـــرض عليه ويثـــني الله على صـاحبه بين الملأ الأعلى و (العمل الصـالح) من أعمـــال القلـــوب وأعمـــال الجـــوارح (يرفعـــه) الله تعـــالى إليه أيضا كـــالكلم الطيب.

وقيل: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب؛ وذلك لأن العمل الصالح برهـان على صـحة وصدق الكلم الطيب الصـادر من العبد على لســانه؛ فيكــون رفع الكلم الطيب بحسب أعمال العبد الصالحة؛ فهي التي ترفع كلمه الطيب؛ فإذا لم يكن له عمل صالح لم يرفع له قـول إلى الله تعـالى [1]، وهـذه الآية من أعظم حجج أهل السنة على أهل البـدع في باب إثبات صفة العلو لله تعالى.

* * *

*** المثال الثاني عشر:** صفحة (500) من سورة لقمــان الآية رقم (27) في قوله تعالى: ﴿**مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ**﴾.

قـــــال المؤلــــــف: «المعـــــبر بها عن

---

[1] (?) انظر تفسير كلام المنان (6/303-304).

معلوماته».

* **قلت**: تفسير كلمات الله بمعلوماته؛ خلاف ما فهمه السلف منها، وهو بالتالي عدول عن ظاهر اللفظ؛ بل كلماته سبحانه هي كلامه وقوله الذي لا نفاد له؛ لأنه سبحانه أول بلا ابتداء، آخر بلا انتهاء، لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء؛ فلا حدَّ لكلامه سبحانه فيما مضى ولا فيما يُستقبل، وما يقدر من الأشجار والبحور؛ لتكتب به كلمات الله لا نفاد له، وتفسير كلمات الله بمقدوراته، أو معلوماته تفسير لها بأمور وجودية وعدمية، وكلمات الله تعالى الموصوفة بأنها لا تنفد هي أمور وجودية، وكأن هذا التفسير الذي ذكره المؤلف يرجع إلى مذهب الأشاعرة والماتريدية الحنفية في كلام الله؛ وهو أن كلام الله معنى واحد نفسي قديم؛ فلا يوصف بالتعدد، وهو خلاف مذهب أهل السنة والجماعة؛ فإنهم يقولون: لم يزل الله ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء وكيف شاء، وكلماته لا نهاية لها؛ فيوصف تعالى

بأنه قال ويقول ونادى وينادي؛ كما أخبر بذلك تعالى عن نفسه وهو أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا وأحسن حديثا من خلقه [1].

* * *

* **المثال الثالث عشر:** صفحة (502) من سورة السجدة الآية رقم (5) في قوله تعالى: ﴿**يَعْرُجُ إِلَيْهِ**﴾.

قال المؤلف: «يرجع الأمر والتدبير».

* **قلت:** يستفاد من مجموع أقوال السلف في تفسير هذه الآية أن العروج بمعنى الصعود؛ فالملائكة تنزل بأمر الله تعالى على الأرض ثم ترجع صاعدة بأمر ربها، وهذا إثبات لعلو الله تعالى على خلقه؛ قال ابن جرير الطبري: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم

---

[1] (?) انظر تفسير ابن جرير (80/21-82) والبغوي (292/6) والسعدي (166/6).

خمس مائة في الـــــنزول وخمس مائة في الصـــعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه وأشـــبهها بظاهر التنزيل»[1].

* * *

* **المثال الرابع عشر:** صفحة (556) من ســـــورة ص الآية رقم (75) في قوله تعـــالى: **﴿قَـــالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَـــكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾**.

قال المؤلف: «أي تولَّيْتَ خَلْقَه؛ وهـذا تشريف لآدم؛ فإن كل مخلوق لم يتـولَّ الله خلقه».

* **قلتُ:** غفر الله للمؤلف؛ فليس تـولي خلق آدم معنى اليدين؛ بل هو تعطيل لصفة اليدين وعدول عن ظـاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السلف؛ قال ابن جرير الطـبري: «أي شيء منعك من السجود **﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾** يقول: لخلق يدي يخبر تعالى ذكـره بـذلك أنه خلق آدم بيديه كما حدثنا ابن المثـــنى؛ قـــال: ثنا محمد بن جعفر قـــال: ثنا شـــعبة قـال: أخـبرني عبيد المكتب قـال: سـمعت

---

[1] (?) تفسير ابن جرير (10/232).

مجاهدا يحدث عن ابن عمر قـال: خلق الله أربعة بيده: العـرش، وعـدن، والقلم، وآدم، ثم قال لكل شيء: "كن"، فكان»[1].

ولــولا أن المقصــود بــذلك خَلْقُــهُ آدم باليدين حقيقةً ما كـان هنـاك مزيـةٌ لآدم ولا تشريفٌ له؛ فإن كل المخلوقات تـولَّى اللـهُ خَلْقَها، وخَلَقَها بقدرته؛ فمِن هنا يبطل تأويل من فسر اليدين بالقدرة أو بتولِّي الخَلْـقِ أو غير ذلك.

* * *

* **المثـال الخـامس عشـر:** ســورة الزخـــرف الآية رقم (3) في قوله تعـــالى: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآَنًا عَرَبِيًّا**﴾.

قــال المؤلــف: «أوجــدنا الكتــاب بلغة العرب».

* **قلت:** هــذا كلامٌ باطــلٌ؛ لأن المؤلف تأثَّرَ بالزَّمَخْشَـرِيِّ وهو جهميٌّ معـتزليٌّ؛ فقد قال: (.... أي خلقناه)[2].

والصواب ما قاله ابن جرير وابن كثير:

---

[1] تفسـير ابن جرير (10/606) ط دار الكتب العلمية.

[2] الكشاف 3/477.

(أي أنزلناه....)[3].

* * *

* **المثال السادس عشر:** صفحة (566) من سورة الزمر الآية رقم (67) في قوله تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾.

قال المؤلف: «ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا**﴾ حال - أي السبع - (قبضته)؛ أي: مقبوضة له؛ أي: في ملكه وتصرفه ﴿**يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ**﴾: مجموعات (بيمينه) بقدرته...».

* **قلت:** غفر الله للمؤلف؛ فليست القدرة هي معنى اليمين؛ فهذا عدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السَّلَفُ؛ قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وما عظم الله حق عظمته هؤلاء المشركون بالله

---

3 (?) جامع البيان 25/47 وتفسير ابن كثير 4/122.

الذين يدعونك إلى عبادة الأوثـان... وقولـه: ﴿**وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَـتُهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ**﴾ يقول تعالى ذكره: والأرض كلها قبضـته في يوم القيامة ﴿**وَالسَّـماوَاتُ**﴾ كلها ﴿**مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـــهِ**﴾؛ فـــالخبر عن الأرض مُتَنَـــاهٍ عند قوله: يوم القيامة، والأرض مرفوعة بقولـه: ﴿**قَبْضَتُهُ**﴾، ثم اسْتَأْنَفَ الخـبرَ عن السـموات فقـال: ﴿**وَالسَّـماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِـهِ**﴾ - وهي مرفوعة - بمطويـــات. ورُوي عن ابن عبـاس وجماعة غـيره أنهم كـانوا يقولـون: الأرض والســموات جميعا في يمينه يـــوم القيامـة.. وقـال آخـرون: بل السـموات في يمينه والأرضون في شماله»[1].

وقد أخـــرج البخـــاري في صـــحيحه (13/393) ح7412 في الإيمـان بـاب قـول الله تعـالى: "لما خلقت بيـدي" من حـديث نـــافع عن ابن عمر مرفوعًـــا: «**إن الله يقبض يـــوم القيامة الأرض وتكـــون الســـموات بيمينه ثم يقـــول أنا الملك**»؛ فهـذا الحـديث حُجَّةٌ في تفسـير

1 (?) انظر تفسير ابن جرير (11/23-25).

الآية بـــأن الســـموات يطويها ربنا بيمينه ويقبض الأرض ويَهُـزُّهُنَّ ويقـول: أنا الملـك. وإذ قد ثبت النص فلا مجال لتأويل.

* * *

* **المثـال السـابع عشـر:** صـفحة (660) من سـورة الحديد الآية رقم (3) في قوله تعالى: ﴿**وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**﴾.

قال المؤلف: «الظـاهر: بالأدلة عليـه، والباطن: عن إدراك الحواس».

* **قلت:** الأولى تفسـير هـذين الاسـمين (الظاهر والباطن) بما فسرهما النـبي ﷺ في قولـه: «وأنت الظـاهر فليس فوقك شـيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[1]؛ فيكون اسـمُه الظـاهرُ دالًّا على عُلُـوِّه على خلقـه، واســمه "البــاطن" دالًّا على إحاطة علمه وأنه لا يحجبه شـيء؛ فسـمعه واسع لجميع الأصـــــوات، وبصـــــرُه نافذ إلى جميع المخلوقات.

* * *

* **المثــال الثــامن عشــر:** ســورة الواقعة الآية رقم (74) في قوله تعــــالى:

---

[1] (?) رواه مسلم 4/2084.

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

قال المؤلف: «وقيل: (باسم) زائد».

* **قلت:** الصواب أن «اسم» غيرُ زائد؛ قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: «فسبح بتسمية ربك العظيم بأسمائه الحسنى»[1].

* **المثال التاسع عشر:** صفحة (678) من سورة الصَّفِّ الآية رقم (4) في قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ﴾**.

قال المؤلف: «إن الله يحب ينصر ويكرم».

* **قلت:** إن كان المؤلف يَقْصِدُ أن هذا تفسير المحبة فهذا تعطيل لها، وإن كان يقصد أن هذا من آثار المحبة ومن لوازمها مع إثبات المحبة لله فهذا حق؛ فإن الله إذا أحب عبدا يكرمه وينصره ويجزيه.

* * *

* **المثال العشرون:** صفحة (692) من سورة الملك الآية رقم (1) في قوله تعالى: **﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾**.

قال المؤلف: «بيده: في تصرفه».

---

1 (?) جامع البيان 27/214.

* **قلت**: هـذا تعطيل لصـفة اليد وعـدول عن ظاهر اللفظ وخلاف لما فهمه السـلف؛ قـال ابن جريـر: «الـذي بيـده الملـك: بيـده مُلك الـدنيا والآخـرة وسـلطانهما نافذ فيهما أمره وقضاؤه»[2].

فلا ينبغي تفســـير صـــفة بـــأخرى؛ لأن التصرف غـير اليد وإن كـان لازما لهـا، ومن القواعد المقـررة والمتفق عليها بين سـلف الأمة وأئمتها الإيمـان بأسـماء الله وصـفاته وأحكام الصفات.

*   *   *

* **المثال الحادي والعشرون:** صفحة (693) من ســـــورة الملك الآية رقم (16) في قوله تعالى: ﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّـمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ**﴾.

قـــال المؤلـــف: «من في الســـماء: سلطانه وقدرته».

* **قلت:** هذا تعطيلٌ لصفة العُلُوِّ وعـدولٌ عن ظاهر اللفظ وخلاف لما جاءت به رسل الله وأنزلت به الكتب وصَرَّحَ به رسولُ اللهِ

---

[2] (?) تفسير ابن جرير (12/169).

 ونَطَقَتْ به الجَارِيَـــةُ العاقِلَـــةُ المؤمنـــةُ بشهادة رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم وأطبقت عليه الأمم - ولاسـيما هـذه الأمة - قبل ظهـور الجهميَّة من أن الله تعـالى في السـماء على عرشه فـوق عبـاده؛ قـال ابن جرير في تفســير هـــذه الآيـــة: «من في السماء: وهو الله»[1].

وقال الإمام مالك: «إن الله في السـماء وعلمه في كل مكان».

وقــال أبو حنيفــة: «من أنكر أن الله في السماء فقد كفر».

* * *

* **المثال الثاني والعشرون:** صـفحة (697) من ســــورة القلم الآية رقم (42) في قوله تعالى: **يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ**.

قـال المؤلـف: «هو عبـارة عن شـدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء».

* **قلت:** هـذا أحد القــولين في تفســير الآية أن المراد بها شدة الهول يوم القيامة، وعليه فليست من آيات الصفات.

---

1 (?) تفسير ابن جرير (12/169).

والقـول الثـاني: أن المـراد في الآية هنا أن الله يكشف عن سـاقه، ويـدل على هذا الحديث الثابت في الصحيح أن النـبي قال: «**يكشف ربنا عن ساقه فيسـجد له كل مـؤمن ومؤمنـة، ويبقى من كان يسجد في الـدنيا رئـاء وسـمعة، فيذهب ليسـجد، فيعـود ظهـره طبقا واحدا**»[2].

هذا ومما يجب أن يُعْلَمَ أنَّ الذين فَسَّرُوا الآية بالتفسير الأول لم يَنْفُوا عن الله تعالى صفة الساق التي ثبتت بها السنة، لكنهم لم يـروا أن الآية دالة عليها ولم يعـدوها من آيـات الصـفات، إنما أثبتـوا الصـفة – صـفة السـاق – بالسـنة، ولا منافـاةَ بين القـولين؛ فالله يكشف عن سـاقه يـوم شـدة الهـول، وذلك بخلاف المعطلة الـذين ينفـون صـفة السـاق، ولا يثبتونها لا بـالقرآن ولا بالسـنة؛ بل حملوا الآية والحديث على شدة الأمر.

وهـذا وإن كـان محتملا في الآية لكنه لا

---

2 (?) أخرجه البخـاري (8/663) ح4919 في التفسـير باب (يوم يكشف عن ساق) من حديث عطاء عن أبي سعيد مرفوعا.

يحتمل في تفسير الحـديث؛ لـورود السـاق مضافة إلى الضـمير العائد على الله تعـالى .[1]

*   *   *

*** المثال الثالث والعشرون:** صـفحة (701) من ســورة المعــارج الآية رقم (4) في قوله تعالى: ﴿**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَـةُ وَالـرُّوحُ إِلَيْهِ**﴾.

قـال المؤلـف: «إلى مهبط أمـره من السماء».

*** قلت:** الصـــواب في معـــنى الآية أن الملائكة والروح – وهو جبريل ﷺ - تصعد إلى الله تعالى، والهاء ضـمير عائد على الله عز وجل، (في يوم كـان مقـداره خمسـين ألف سنة). قيل: هو يوم القيامة، وقيل: إن مـدة صـــعودهم يـــومٌ مقـــداره بالنســـبة للخلق يساوي خمسين ألف سـنة، ولكنَّ المهم أن قوله تعالى: (إليه)؛ أي: إلى الله تعالى.

*   *   *

*** المثال الرابع والعشرون:** صــفحة

---

[1] (?) انظر تفسـير ابن جرير (12/197) وتفسـير ابن كثير (7/90: 91).

(734) من سورة البروج الآية رقم (14) في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ**﴾.

قال المؤلف: «المتودد إلى أوليائه بالكرامة».

* **قلت:** فيه نظرٌ؛ لأن فيه رائحةَ تأويل لصفة المحبة بالإكرام، والصواب أن يقال: الودود، صيغة مبالغة بمعنى فاعل؛ أي المحب لمن تاب إليه وأناب.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: «هو ذو المغفرة لمن تاب إليه من ذنوبه وذو المحبة له»[1].

* * *

* **المثال الخامس والعشرون:** صفحة (734) من سورة البروج الآية رقم (16) في قوله تعالى: ﴿**فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ**﴾.

قال المؤلف: «لا يعجزه شيء».

* **قلت:** هو في نفيه للعجز لم يثبت كمال القدرة على فعل ما أراد، ومن أثبت القدرة فقد نفى العجز ضمنا، بخلاف العكس؛ ولكن الآية فيها إثبات لصفة

---

1 (?) تفسير ابن جرير (12/529).

الإرادة، وفيها إثبات لقدرة الله تعـالى الـتي ليس لها منتهى، ولا يعجزه شيء، فما أراده – سبحانه – فعله، لا معقب لحكمـه، ولا رادَّ لقضائه.

* **المثـال السـادس والعشـرون:** صـفحة (736) من سـورة الأعلى الآية رقم (1) في قوله تعـالى: ﴿**سَـبِّحِ اسْـمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**﴾.

قال المؤلف: «الأعلى: صفة لربك».

* **قلت:** الأعلى: اسم من أسـماء الله يشـتمل على إثبـات صـفة العلو لله تعـالى ومعنـاه الأعلى من كل شـيء؛ فهو أفعل تفضـيل دال على علـوه تعـالى بكل معـاني العلو؛ فهو الأعلى قدرا ومنزلة، وهو الأعلى بـالقهر والغلبـة، وهو الأعلى بذاته فـوق كل شـيء، وفي ذكر اسـمه الأعلى في هـذا الموقع بيـان لمـوجب اسـتحقاقه للتسـبيح وهو التنزيه عن النقائص.

*   *   *

* **المثال السابع والعشرون:** صفحة (739) من سـورة الفجر الآية رقم (22)

في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا**﴾.

قال المؤلف: «وجاء ربك: أي أمره».

*** قلت:** تأويل المجيء بأمر الله هذا باطل وخلاف لظاهر النص وعدول عنه إلى معنى آخر وخلاف لما فهمه السلف من الآية.

قال ابن جرير: «يقول تعالى ذكره: وإذا جاء ربك يا محمد وأملاكه صفوفا؛ صفا بعد صف»[1].

فالمجيء صفة من صفات الله على الحقيقة على ما هو لائق بالله بلا معرفة الكيف، ومن الدلائل على بطلان تأويل المجيء بالأمر أن الملائكة من أمر الله؛ فلا معنى لمجيء الأمر مع تصريح مجيء الملائكة؛ لأنه يكون ذكرا للملائكة بلا فائدة.

* * *

*** المثال الثامن والعشرون:** صفحة (746) من سورة العلق الآية رقم (15) في قوله تعالى: ﴿**أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى**

---

1 (?) تفسير ابن جرير (12/576).

.

قال المؤلف: «ما صـدر منه أي يعلمه فيجازيه عليه».

*** قلت:** العلم من لـوازم الرؤيـة؛ لكن الرؤية غير العلم.

قـال ابن جرير في تفسـير هـذه الآيـة: «يقـول تعـالى ذكـره: ألم يعلم أبو جهل إذ ينهى محمدا عن عبادة ربه والصلاة بأن الله يراه فيخاف سطوته وعقابه»[1].

*   *   *

---

[1] (?) تفسير ابن جرير (12/648).

المبحث الثاني
قَصْرُ العامِّ على بَعْضِ أفراده

وذلك أن اللفظ أحيانا قد يَصْـــــدُقُ على عِـدَّةِ معـانٍ، ويطلق عليها ويحتملها كلها أو يقصد به مجموعهـا، فلو قيل بأحـدها فقط وطرح الباقي، ولم يلتفت إليه لكان اطراحا لمعان حقة هي جزء من مدلالوت اللفظ.

وإليك الأمثلة لذلك:

* **المثـــال الأول:** صــــفحة (50) من ســورة البقــرة الآية رقم (255) في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ**﴾.

قال المؤلف: «وهو العلي: فوق خلقه بالقهر».

وفي ســــــورة النحل الآية رقم (5) في قوله تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ**﴾.

قــــال المؤلــــف: «أي عاليا عليهم بالقهر».

* **قلت:** هـذا قصر لمعـنى (العلي) على أحد مدلولاته وإغفـال لبـاقي ما يـدل عليه هذا الاسم من المعاني؛ فإنه سـبحانه العليُّ بذاته العليُّ على جميع مخلوقاتـــــه، وهو

العليُّ بعظمة صفاته، وهو العليُّ الــذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات وخضـعت له الكائنـــات فلا بد من إثبـــات كل هـــذه المعاني لله.

*   *   *

* **المثـال الثـاني:** سـورة النحل الآية رقم (36) في قوله تعـــالى: ﴿**وَاجْتَنِبُـــوا الطَّاغُوتَ**﴾.

قال المؤلف: «الطاغوت: الأوثان».

* **قلت:** الطـــاغوت كل ما عبد من دون الله وهو راضٍ بالعبادة.

*   *   *

* **المثـال الثـالث:** صـفحة (674) من سـورة الأعـراف الآية رقم (181) في قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْـنَى**﴾. والآية (24) من سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾.

قـال المؤلـف: «التسـعة والتسـعون الوارد بها الحديث».

* **قلت:** التسـعة والتسـعون من أسـماء الله الحسنى لأن أسماء الله غير محصــورة

بعدد لقوله : «**أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك**»[1].

* **المثال الرابع:** صفحة (747) من سورة البينة الآية رقم (1) في قوله تعالى: **﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾**.

قال المؤلف: «أي عبدة الأصنام».

* **قلت:** فيه نظر؛ فالمشركون عباد الصالحين والقبور والجن والأشجار والأحجار؛ فإن غالبَ المشركين كانوا عبدة للصالحين، وهذا كان مبدأ الشرك في الأرض، الغلو في الصالحين ثم اتخاذ أصنام بأشكالهم ثم عبادتها من دون الله.

* **المثال الخامس:** صفحة (753) من سورة الكافرون الآية رقم (2) في قوله تعالى: **﴿أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾**.

---

1 (?) أخرجه أحمد (1/391) والطبراني في الكبير (10/209، 210) وابن حبان كما في موارد الظمآن ص(589) كلهم من طريق عبد الرحمن بن عبد الله. عن عبد الله ابن مسعود وأورده الهيثمي في المجمع (10/136) قال: «رجاله أحمد وأبو يعلي رجال الصحيح غير أبي سلمة الجهني وقد وثقه ابن حبان».

قال المؤلف: «ما تعبدون: من الأصنام».

* **قلت:** قوله ما تعبدون - أي الأصنام - فيه نظر؛ لأنه قصر للعام على بعض أفراده، والصواب المعبودات؛ سواء كانت من الصالحين أو القبور أو الأشجار أو الأصنام، يقول: قل لهم: لا أعبد ما تعبدون من دون الله من هذه المعبودات الباطلة التي اتخذتموها من دونه، ولا أصرف لها شيئًا من العبادة، بل إنما أتوجه بعبادتي وأصرفها لله تعالى الذي يستحقها وأبيتم أن تعبدوه.

* * *

المبحث الثالث
في الإسرائيليات

يقصد بالإســــــــرائيليات هنا ما ورد من حكايـــات نقلا عن أهل الكتـــاب من بـــني إسـرائيل، ومعلـوم لنا جميعا أنه فيما يتعلق بالإسرائيليات فهي ثلاثة أنواع:

1- ما ورد شرعنا بتصديقه فهـذا نصـدقه ونحكيه.

2- ما ورد شرعنا بتكذيبه فهذا لا نشـتغل به ولا نحكيه إلا على سبيل بيان بطلانه.

3- ما لم يـــرد شـــرعنا بتصـــديق له ولا تكـذيب، فهـذا وإن حكي فإنه لا يصـدق ولا يكذب لأنه يحتمل الأمرين.

وإليك أمثلة النوع الثاني:

* **المثـــال الأول:** صـــفحة (18) من ســـورة البقـــرة الآية رقم (102) في قوله تعالى: **﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّـيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾**.

قـال المؤلـف: «من السـحر وكـانت دفنته تحت كرسيه لما نزع ملكه».

* **قلت:** حادثة نـــزع ملك ســـليمان لا

يمكن التصديق بصـحتها إذ هي من حكايـات بـني إسـرائيل الـتي لا تتناسب مع مناصب الأنبياء وحفظ الله لهم.

* * *

* **المثـال الثـاني:** صـفحة (287) من سـورة يوسف الآية رقم (52) في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ**﴾.

قال المؤلف: «ذلك: أي طلب الـبراءة (يعلم) العزيز «أني لم أخنه في أهله».

* **قلت:** ظـاهر كلام المؤلف أن يوسف هو القائل ذلك والأولى حمل الآية على أن امـرأة العزيز هي الـتي قـالت ذلك فيكـون معنى الآيـة: أي ليعلم زوجي أني لم أرتكب الفاحشـة، وإنما راودت يوسف مـراودة فامتنع مني وما أبـريء نفسي فـإن نفـوس البشر ضـعيفة تغلب عليها الشـهوات إلا ما رحم ربي، وهـذا ما رجحه ابن تيمية وابن القيم وابن كثـير وقاله المـاوردي في تفسيره: وهو أليق بسياق الآية [1].

* * *

---

[1] (?) انظر التفسـير القيم لابن القيم ص316 وتفسـير ابن كثير 2/481.

* **المثـال الثـالث:** صـفحة (362) من ســــــورة الكهف الآية رقم (83) في قوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ**﴾.

قال المؤلف: «اسمه الإسكندر».

* **قلت:** ليس هنـاك دليل صـحيح حـتى يقطع المؤلف على أن اسم ذي القــــرنين الإســكندر؛ فلقد قــال تعــالى بعد ذلــك: ﴿**سَــأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْــهُ ذِكْـرًا**﴾؛ أي: سـأتلوا عليكم من أحوالـه، ما يتـذكر فيـه، ويكـون عـــبرة وأما ما ســوى ذلك من أحواله فلم يتله عليهم[1]، ثم الظــاهر أن الإســكندر هو المقــدوني وهو كــان من المشــركين؛ فلم يكن من المسلمين؛ فضلا عن أن يكون من أولياء الله.

* * *

* **المثـال الرابـع:** صـفحة (363) من ســــــورة الكهف الآية رقم (93) في قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ...**﴾.

قال المؤلف: «بفتح السين وضمها هنا وبعدهما، جبلان بمنقطع بلاد الترك...».

---

1 (?) انظر تفسير السعدي 5/73.

* **قلت:** قَطْعُهُ بأنَّ السَّـدَّ في بلاد التُّرْكِ لا دليل عليه.

*   *   *

* **المثال الخامس:** صفحة (553) من سورة ص الآية رقم (34) في قوله تعـالى: ﴿**وَلَقَـــدْ فَتَنَّا سُـــلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ**﴾.

قال المؤلف: «ثم أناب: رجع سـليمان إلى ملكه بعد أيـام بـأن وصل إلى الخـاتم فلبسه وجلس على كرسيه».

* **قلت:** فيه نظر؛ لأن هـذا تنقيصٌ لهـذا النـبي، واسـتيلاء على أزواجه المطهـرات، وهذا مما يعلم بطلانه؛ إذ أن أعراض الأنبياء محفوظة من الله تعالى.

** **تنبيه:** مما يلتحق بالإسرائيليات قول المؤلف في سـورة الأحـزاب الآية 37 في تفسير قوله تعـالى: ﴿**وَتُخْفِي فِي نَفْسِـكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ**﴾.

قـــال: «مظهـــره من محبتها وأن لو فارقها زيد تزوجتها».

* **قلت:** هذا كلام فيه نظر من وجهين:

الأول: أنه غير ثابت رواية.

والثـاني: أنه غـير صـحيح درايـة؛ لأنه مخـالف لمنصب النبـوة والصـواب ما قاله ابن كثـــير عن الحسن بن علي رضي الله عنهمـــا: «أن الله تعـــالى أعلم نبيه أنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوج فلما أتاه زيد ليشـكوها إليه قـال: اتق الله وأمسك عليك زوجك. فقـال الله تعـالى: قد أخبرتك أني مزوجكها وتخفي في نفسك ما الله مبديه.

قال ابن كثير: «وهكـذا روي عن السُّدِّي أنه قال نحو ذلك».

* **الحاصل:** أن أسطورة عشق النـبي ومحبته إياها وكتمـــان ذلك كلها باطلة لا أصل لها.

وإنما الصواب: أن الله تعالى قد أخـبر نبيه أنه ســيزوجه إياها فكتم النــبي ذلك مخافة أن يقـول النـاس كيف يـتزوج محمد زوجة ابنه (المتبنى).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات أما بعد:

فهـذه أمثلة على هنـات وزلات وقعت في تفسـير الجلالين، ولم أقصد الاسـتيعاب وإنما أردت التنبيه على أمثلـــة، وأرجو أن يســتفيد منها القــارئ، وقد نبهت أن هــذه التنبيهــات ليس معناها انتقــاص الكتــاب أو هضمه حقـه، وإنما هو واجب شـرعي يمليه عليَّ الـدين، ولعل هـذا يكـون فاتحة خـير لعمل تنبيهـات على تفاسـير أخـرى مما هو شـائع بين أيـدي النـاس، وذلك على حسب الوسع واتساع الـوقت إن شـاء الله تعـالى، والله أسـأل القبـول، وأن يجعل هـذا العمل في ميزان حسناتنا.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه أبو عبد الرحمن

محمد بن عبد

الرحمن الخميس

1/4/1414هـ

فهرس الموضوعات